المبحث الثالث: في مفهوم الحرب

أولا:ـ معنى الحرب:

ان الحرب هي(ممارسة العنف المسلح المنظم بين الجماعات الانسانية،وهي الوسيلة الاكثر قسرا للدولة لتحقيق اهدافها) وتستخدم لانجاز السياسة الوطنية ،ويقول كلاوزفتز(انها استمرار للسياسة بوسائل اخرى).والحرب القديمة قدم التاريخ فقد كانت الجماعات البدائية الصغيرة تقاتل من اجل البحث عن القوت،وكانت الحرب انذاك حالة مألوفة بسبب الضغط السكاني او الحاجة الغذائية فكانت المنافسات شديدة والحروب كثيرة.ويعرف كيلمان الحرب بأنها (فعل اجتماعي داخلي من جهة وبين المجتمعات من جهة ثانية وتتم ممارستة في نطاق دولة واحدة او في النطاق الدولي).ان الحرب وسيلة للسياسة هي فكرة لايمكن الاخذ بها كشيء مسلم في القرن الحادي والعشرين اذ لا تستطيع الدول الحديثة الاتكال على الحرب مع ضمان عدم تطورها من حرب محدودة الى حرب شاملة وربما تشمل العالم بأسره.ويمكن ان تمثل الحرب احيانا خيارا عقلانيا عند صناع القرار وان السرعة التي يلجأ اليها الزعماء والوسائل التي يبررونها يمكن ان توصلنا الى ان هناك جذور نفسية في الطبيعة البشرية التي يرجع اصلها الى الخصائص السلوكية الشخصية،وان تأثر الدول الحديثة بالحرب ينبع من الحقيقتين الآتيتين:ـ

_ أولا:قدرة الحكومات بفضل سيطرتها المباشرة على اقتصادها الوطني على تعبئة نسبة كبيرة من الموارد للقيام بالحرب اكثر من السابق.

_ ثانيا: ان زيادة عملية المشاركة السياسية والرجوع الى الاجراءات الدستورية تمثل مسألة حيوية في مساندة ارادة القتال ويكون من نتائج ذلك تحمل الحكومات تبعات ومسؤولية الحرب.

ان القاعدة العامة هي ان الدول تولد من الحرب،كما ان الحرب هي سبب رئيسي لأنتهاء الدول.كانهيار النظام القيصري في روسيا ووصول الحكم البلشفي الى السلطة كنتيجة للحرب العالمية الاولى. وادت الحرب العالمية الثانية الى توسيع الاتحاد السوفيتي و إقامة أنظمة شيوعية في شرق أوربا مما أدى إلى إقامة إمبراطورية سوفيتية واسعة لها حلفاء من قلب اوربا الى جزر الكوريل شمال اليابان.

_ثانياً:ـ اهداف الحرب:

تتضمن الحرب الاهداف الاتية:ـ

١ـ وضع اهداف اطراف النزاع موضع التطبيق.

٢ـ تطمين حماسة الرأي العام في الداخل بشرعية الاهداف المعلنة والتأكيد على هذه الاهداف والتي يقاتل من اجلها ذات قيمة كبرى

٣ـ الحصول على موقف ملائم من الدول المحايدة كلما كان ذلك ممكناً والعمل على منع انتقال المحايدين الى الجبهة الاخرى،اذا كان من الصعب الحفاظ على موقف الحياد في الاقل.

٤ــاقناع العدو وسكانه بالأضافة الى حكومته وجيشه بأن البديل في اقامة السلام هــو افــضل بكثيــر من استمرار الحرب.

ثالثاً: طبيعة الحرب:

١ــان الحرب هي معركة مادية:اولاً وقبل كل شيء تعد الحرب معركة مادية،فليس كل المعارك المسلحة هي حربا بالمعنى القانوني،وان الاستخدام المحدود للقوة والذي يتطلب احيانا قتالاً هو ليس بالتعريف حربــا وان الحرب بالمعنى المادي وقعت منذ اقدم الازمنة.ولكن فى القرون الحديثة حصل تحول طبيعي في الحرب من حروب جيوش الى حروب شعوب تجند فيها جميع موارد التكنولوجيا الحديثة.فالحرب الحديثة تمثل حــروب لكل مواطني الدولة،وتأخذ الصناعة الحديثة جزء منها مجهودات الحرب، وأصبح جميع الــسكان خاضــعين للضربات الجوية الحربية.فمنذ عام١٩٤٥ اصبح من الصعب تقدير القدرة التدميرية للحرب الحديثــة نتيجــة تطور الاسلحة مما يدفع للاستنتاج بأن حرب عالمية ثالثة تكون كارثة على الانسانية واصــبح شــبح هــذه الحرب له اثر رادع على السياسات الوطنية لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية .فالحــاجز الــذي امتلكتــه الولايات المتحدة الامريكية من الاسلحة النووية استخدم لمنع السوفيت من استخدام تفوقهم بالاسلحة التقليديــة ليندفعوا الى الامام في اوربا .ان هدف الحرب المادية هو اخضاع العدو نفسياً،وسابقاً كان يعني ببساطة دحر الجيش المعتدي ومنذ عام ١٩١٤ اخذ هذا يعني ضرب المدنيين ايضاً وشن حملات حرب نفسية لأقناع شعب العدو من مغبة الاستمرار في الحرب.

٢ــالحرب بوصفها وضعاً قانونياً: الحرب ليست مواجهة مادية فقط وانها علاقة قانونية بين الطرفين ايضاً.اذ توقف وتلغي بعض المعاهدات مثل (الاتفاقيات البريدية والاتفاقات التجارية) بين الدول المتحاربة،كما انهــا تدعو الى عقد معاهدات التحالف وتغيير مجرى التجارة المسموحة وتطبيق قوانين حيادية وما يترتب علــى ذلك من حقوق وواجبات .وان قيام الحرب بالمعنى القانوني يعتمد على رغبة الاطراف، فكل دولــة تعتبــر نفسها في حالة حرب يتطلب منها اعلان حالة حرب ،ولكن احياناً تقوم الحرب بدون اعلانها كحالة الاحتلال الياباني لمنشوريا ١٩٣١ــــ١٩٣٢. ان حالة الحرب لاتعتمد على اولوية اعلانها على الرغم مــن اتفاقيــة لاهاي ١٩٠٧.ان اغلب الدول اخذت على عاتقها بعدم بدء القتال دون اعلانه.

رابعاً:ـــ أسباب اندلاع الحرب:

أــ الاسباب الاقتصادية : يقود الصراع من اجل السيطرة على الاسواق الخارجية والموارد الاولية الحكومات للبحث عن السيطرة الخارجية او البحث عن المستعمرات مما ينجم عن ذلك صراع مسلح وفي مثــل هــذه الحالات تستخدم الحكومات مجرد ادوات لتحقيق المصالح التجارية والوطنية. واصبحت الحرب اداة مصلحة بين رجال المال والصناعة في الدول الاستعمارية من اجل السعي للحصول على مركز اقليمــي او تحقيــق احتكار اقتصادي شامل.ان المنظرين الذين عرفوا العوامل الاقتصادية بوصفها سبباً رئيسياً لأثــارة الحــرب ينقسمون الى قسمين [redacted] دعاة التجارة الحرة والماركسيين،وكلا المجموعتين وجدتا في رأس المــال

مصدراً للعنف في العلاقات الدولية.واذا كان الليبراليون قد تبنوا تفسير عرضي للأمبريالية فأن الماركسيين يعتقدون بأن الرأسمالية التي هي نمط من الانتاج تؤدي الى قيام الامبريالية انما تبحث عن الهيمنة على الاخرين من اجل الحصول على فوائد اقتصادية وعسكرية وغيرها.وترى الماركسية انطلاقاً من نظرية الصراع ان الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية هي مسألة حتمية والنمو الحتمي للفوائض يتطلب اقامة منافذ وراء الاسواق الداخلية وبالتالي نشوء الاستعمار.وبعد الحرب العالمية الثانية شخص الماركسيون ان الاستعمار اتخذ شكل اكثر خطورة من السابق بسبب سياسة التدخل التي اخذت تمارسها الحكومات في بعض الدول الرأسمالية أي التدخل من قبل دول الشمال في دول الجنوب واثارة حروب تحرر وطني خاضتها الشعوب المستعمرة.اي لايمكن انكار دور المصالح الاقتصادية في نشاط الدولة ولكن لايعني ان الاقتصاد هو العامل الوحيد لأثارة الحرب كما ادعته الماركسية .

ان الصراع حول المستعمرات ادى الى زيادة الحروب بين الدول الاستعمارية.ومن جهة اخرى يثير مبدأ التغلغل الاقتصادي الاجنبي من اجل الحصول على الاستثمارات في الداخل قلقاً شديداً لدى الرأي العام لان قيمة القو تعبئة داخلية، واذا كانت النشاطات الاقتصادية موجهة من الخارج فأن القادة ربما يكونون على درجة عالية من الضعف ازاء الضغوط الاقتصادية .كذلك تدفع سياسة وضع التعريفات الجمركية في وجه السلع الاجنبية الى اثارة التوترات بين الدول.

٢ـالأسباب السياسية: تذهب الدول الى الحرب لأختلاف فهمها لمصالحها الوطنية التي تحركهم .ان اعتبارات الصواب والخطأ لتحقيق العدالة لعبت دوراً في قيام الحروب،كذلك الامر بالنسبة للقومية والمثالية والدين والخوف وانعدام الامن.اضافة الى سبب اخر هو الرغبة في الحصول على القوة والاقليم والهيبة وغيرها ،كما لعبت المشكلات الحدودية وتوازن القوى واختلاف الانظمة السياسية والإيديولوجيات دوراً في قيام الحرب.واحياناً تقوم الحرب بسبب حدوث التوترات بين الدول المنتصرة فيها كعدم الاتفاق حول مصطلح الحل السلمي اذ ان كل دولة من هذه الدول تريد موقفاً قويا لنفسها فخلال حرب البلقان وحتى انتهاء الحرب العالمية الاولى ساد الخلاف بين الدول المنتصرة حول نتائج الحرب وبعد الحرب العالمية الثانية ساد التوتر بين الحلفاء الامس الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي الذين دخلا في الحرب الباردة وغيرها من الامثلة.

كما تندلع الحرب لعدم اقتناع الدول المحايدة بنتائجها ولذلك تلجأ هذه الدول الى اجراء التغيير وربما ترى في نتائج الحرب الجديدة مخاطر عليها. فأذا ما شعر بلد بأمن نتيجة لكبح قوة العدو من قبل دولة ثالثة ربما يشعر هذا البلد بانعدام الامن اذا مادحرت تلك الدولة الثالثة.

كما تساهم الحرب في اضعاف وتغيير القوة. كذلك ان النجاح في الحرب قد يثير حرب اخرى فالحروب تؤثر على سلوك الدول من خلال الدروس التي تتركها.ان المغانم التي تحققها دولة واحدة خلال الحرب قد يشجع على استخدام الحرب كوسيلة في السياسة.فاحتلال اليابان لمنشوريا مثلاً شجع موسوليني للاعتقاد بمقدوره شن عدوان على اثيوبيا بدون معارضة من الدول الكبرى.كما تساهم القومية بأثارة الحروب أيضاً

كتحرير دول البلقان من الحكم العثماني وتوحيد ايطاليا والمانيا قد تحقق عبر الحروب.وكل شعوب المستعمرات التي ناضلت من اجل استقلالها.

٣ــالاسباب النفسية ــالاجتماعية: يرى البعض بأن العنف هو عبارة عن حاجة طبيعية في السلوك الانساني،ومن خلال هذة الحقيقة فأن الفيلسوف البريطاني هوبز قد عرف التبرير السياسي عند الانسان بالصراع من اجل السيطرة على الاخرين. وان الدارسين المعاصرين للسلوك الانساني قد توصلوا الى انه بدون قوة تقييد مشتركة فأن العدوان والحرب سيهيمنان على العلاقات بين الناس وقد ذكر الانثربولوجي البريطاني انطوني ستور بأن الناس يمتلكون نظاماً نفسياً كيمياويا يلبي التهديدات والفشل بواسطة توليد سلوك عدواني .فهناك اساس نفسي للعنف عبارة عن سلسلة ردود الافعال التي تعد جسم الانسان للقتال.وقد طرح روبرت اردي بأن الناس يشبعون رغباتهم من اجل الهوية والامن والتحرر بالالجوء الى الحرب،وقد انتقد جيوفر كورير الانكليزي نظرية اردي حول النظرة العدوانية عند الانسان ويعزو الانثروبولوجي الانكليزي مالينوسكي الحرب الى الاسباب الثقافية ويرفض المفهوم الفرويدي الذي يفسر وفقاً لفطرة عدوانية ويرى ان الحرب هي ظاهرة ثقافية،وان محدداتها الاساسية هي اصطناعية وليست متأصلة في الطبيعة الانسانية، اذ يؤكد بأن التحليل المبسط للسلوك ينجم عن عمل واحد او اكثرمن المواجهات النفسية الاساسية او من بعض الاشياء نتيجة التداخل مع المصالح الثقافية ومن الرغبات وذلك حينما تكون الرغبة والجوع والطموح والثروة مهددة فأن العدوان يقع .

كما ان الخوف يشكل احد اسباب الحروب،كما تلعب الاضطرابات الداخلية دور في اثارة الحروب كضعف التماسك الداخلي لأبعاد الانظار من الداخل الى الخارج كاحتلال موسوليني لأثيوبيا لغرض تحقيق الوحدة الايطالية وتكون عند ذلك الحرب تجميع وسيلة الصف والوحدة الوطنية .

وللحرب اثار هامة على الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للاطراف المتحاربة وهذا يؤثر على سلوكهم بالنتيجة،فالحرب العالمية الثانية هيأت الفرصة لتوسيع السيطرة الشيوعية على شرق وجنوب شرق اوربا والصين وكوريا الشمالية وكان لذلك اثار على السياسة الدولية قادت الى قيام الحرب الباردة وغيرها من الامثلة في السياسة الدولية.

٤ــ الاسباب الدينية والايديولوجية :لقد كان الدين سبباً مهماً من اسباب قيام الحروب مثل الحروب بين البروتستانت والكاثوليك.والحروب بين روسيا والدولة العثمانية كانت جزئيا لاسباب دينية اذ كانت روسيا تطالب بحماية الاقلية الارثوذكسية في الدولة العثمانية.

كما لعبت الحروب دور قوي في الصراع بين الايديولوجيات والثقافات والحضارات ويظهر ذلك في العملية التي توسعت فيها المسيحية في اوربا في جزئها الغربي ولعبت افكار الثورة الفرنسية في تأجيج الحرب وانضم ليبراليو وثوار الاقاليم الاوربية الى صفوف الجيش الفرنسي ضد حكوماتهم لتحرير شعوبهم.